ترجمات شعرية تكسر قوقعة الاستعراب الاكاديمي

ثلاثون قصيدة عربية في سياقها

عرض د. طلعت شاهين:

قليلة الكتب العربية المترجمة أو الدراسات الخاصة بالأدب العربي التي تنشرها دورالنشر الاسبانية المعروفة خارج نطاق حلقات الاستعراب المعروفة، التي تنشر طبعات محدودة لا يطلع عليها سوى القارئ المتخصص، وبشكل خاص في الجامعات والمعاهد العلمية، وأقل القليل من تلك الكتب التي تخرج عن نطاق البحث العلمي المتخصص، بل يضع في أول أهدافه بيان مثالب تلك الحلقات المغلقة من الاستعراب، التي تدور في حلقة مفرغة، ولا تتعامل مع القارئ العادي المتعطش الى معرفة الأدب العربي على نطاق أوسع، وبشكل يكشف له عن جماليات هذا الأدب، ولا يقدمه له على انه نوع من معرفة تاريخ قديم مهمل، خاصة بعد فوز الكاتب المصري نجيب محفوظ بجائزة نوبل للأداب.

ربما كان الكتاب الذي بين أيدينا «ثلاثون قصيدة عربية في سياقها» لصاحبه المستعرب الاسباني الشاب «خايمي سانشيث راتيا» الذي عمل في الجامعة كمدرس لمادة الأدب العربي، ولكنه سرعان ما تخلى عن هذه المهنة، رغم ان استاذه المستعرب المعروف «فيدريكو كورينتي» كان يعتبره من ابرز تلاميذه، وقال عنه انه لو ظل في الجامعة كان يمكنه ان يلعب دورا مهما في الاستشراق الاسباني المعاصر.

لكن خايمي سانشيث راتيا اكتشف خلال العامين اللذين عمل خلالهما بقسم اللغة العربية بجامعة مدريد، ان طرق التدريس والمناهج والبرامج التي يتم تطبيقها عاجزة عن ان تكون مصدرا حقيقيا لمعرفة الأدب العربي بشكل جيد، فاتجه نحو العمل كمترجم فوري لدى هيئات الأمم المتحدة، واتجه نحو الدراسات العربية وترجمة الأدب العربي كهواية حتى يستطيع ان يتعامل معها خارج النطاق الأكاديمي، الذي يعتبر في رأيه «آفة» العمل الاستعرابي في اسبانيا، لذلك يعتبر هذا الكتاب احد تلك الكتب القليلة التي وضع صاحبها مهمة التعامل مع القارئ فوق كل شيء، وجاءت مقدمته الوافية نوعا من «إعلان الحرب» على حلقات الاستعراب التي اشرنا إليها، وبدت المقدمة كنوع من تصفية الحسابات بالنسبة للبعض، وبالنسبة البعض الآخر طريقا جديدا للاستعراب خارج نطاق المؤسسات العلمية والمؤتمرات.

يقول خايمي سانشيث راتيا في مقدمة كتابه الوافية، والتي تعتبر اقرب الى الدراسة المتكاملة منها الى المقدمة، ان الاستعراب كان ولا يزال حبيس الدراسات الأكاديمية التي يعدها اصحابها لنيل الدرجات العلمية، أو المشاركة في المؤتمرات المتخصصة، إضافة الى أن معظم المستعربين عن ذوي الأسماء الرنانة اعتمدوا على شهرتهم في الاوساط العلمية لتقديم دراسات متحفية عن الادب العربي، مما ينفر القارىء العادي المتعطش الى معرفة هذا الادب، الذي يتحدث عنه البعض بفخر كجزء من التراث الاسباني المعاصر، ولكنهم يحجبونه عن ذلك القارى، ويتهم الكاتب اساتذة الاستعرًاب بأنهم يهملون الجواهر الحقيقية في الادب العربي قديمه حديثه، مثل كتاب الاغاني للاصفهاني، او كتابات ابن بسام، وغيرها من عيون الادب الاندلسي، ويقدمون للقارىء ما يرضي غرورهم العلمي، او يكتبون دراساتهم عن الادب العربي ويترجمونه بلغة اسبانية جافة منفرة.

بل يصل الكاتب الى حد اتهام احد اشهر المستعربين المعروفين اميليو غارثيا غومث الي توفى قبل سنوات قليلة، وكان يعد امبراطور المستعربين الاسبان، يتهمه بأنه كان يترجم الشعر العربي القديم بشكل لا يكشف عن جمالياته الحقيقية نظرا للغة التي كان يستخدمها في الترجمة، ويرى ان شهرة هذا المستعرب معترف بها بين مجموعة قليلة فقدت شخصيتها في مواجهته، ولم تكن قادرة على خوض اية معركة معه لأنها في رأيهم معركة خاسرة، نظرا للسلطة التي كان يتمتع بها اميليو غارثيا غومث في عالم الاستعراب.

ويقول خاتمي سانشيث راتيا ان المستعرب الاسباني اميليو غارثيا غومث كان يعرف الشعر العربي بشكل سطحي، وينقله الى لغة اسبانية اكاديمية جافة لا تليق بعبقرية الشعر العربي المعروفة.

ويؤكد المؤلف ان كتابه هذا مكتوب من منطلق العشق للشعر العربي، وليس من منطلق مهني اكاديمي، لذلك يقول انه بذل سنوات طويلة في تجميع هذه القصائد الثلاثين، التي تعتبر في رأيه نموذجا يمكن ان يفخر به الشعر العربي، حيث تبدأ تلك القصائد بقصيدة عدي بن زيد، وتضم قصائد معروفة لشعراء مثل زهير بن ابي سلمى وعنترة بن شداد وكعب بن زهير والاخطل، وتنتهي بقصيدة مناجاة القمر للشاعر احمد زكي ابوشادي، ولكن تلك المختارات تضم شاعرة واحدة هي الخنساء، ولا تنسى ان تضم عددا من شعراء الاندلس المعروفين مثل ابن خفاجة وابن حزم وابن شهيد، او الشاعر المعتمد ابن عباد ملك اشبيلية، كما تضم ايضا قصائد لشعراء مثل امير الشعراء احمد شوقي، وشعراء المهجر المعروفين

«كارتل» العقل السوق الفكري الياباني المغلق

الموضوع الاساسي لهذا الكتاب هو المحاولات اليابانية المستمرة لمنع أي عملية «تدويل» للبلاد، وخاصة من وجهة النظر الثقافية حيث تعمد جميع الحكومات اليابانية على الجمع بين التكنولوجيات المتقدمة من جهة والمحافظة على «الهوية الثقافية» من جهة أخرى، لكن هذا لم يمنع المؤلف من التأكيد منذ بداية كتابه على أنه لن يتعرض للميدان الاقتصادي والمالي الذي شهد انفتاحاً يابانيا ملموسا في العقد الأخير من الزمن وخاصة على صعيد البورصة المالية والبنوك مما أتاح مساهمة هامة من قبل الاستثمارات الأوروبية والأمريكية بشكل خاص.

المسألة الأساسية الأولى التي يتعرض لها المؤلف تتعلق بالمجال القضائي حيث تبدي الدوائر الأمريكية المختصة والمكاتب القانونية استياءً كبيرا في التعامل مع اليابان، هذا على الرغم من التنازلات التي قدمتها، أو بالأصح تم انتزاعها منها، عامي 1984، 1989.

ان المؤلف يركز في هذا السياق على الرفض الياباني المستمر لمنح مكانة كبيرة وراجحة لمهنة القضاء وذلك اعتمادا على تقاليد عريقة متأصلة ترى في أي تسوية أمام المحاكم لقضية ما اعترافا بالفشل، فكيف إذا كانت هذه التسوية على أيدي محاكم أجنبية؟

كذلك يتعرض المؤلف لمسألة أخرى تدل على «انغلاق» المجتمع الياباني وتخص القيود المفروضة على ممارسة الصحفيين الأجانب لعملهم في اليابان حيث كان يتم استقصاؤهم لفترة طويلة من «نوادي الصحافة» مما كان يعيق امكانية وصولهم إلى مصادر المعلومات، وتطالب السلطات اليابانية بمختلف اشكالها ومستوياتها العاملون الأجانب في البلاد بالخضوع الكامل والمطلق للتعليمات المقررة واحترام المظاهر التابعة على صعيد الحياة اليومية.

هذه المقولة تبقى صحيحة في جميع الظروف، إذ يرى المؤلف بأنه ليس هناك امكانية حالية، أو أي منظور مستقبلي يسمح بأن تتم مثلاً معاملة المراسلين الصحفيين الأمريكيين في اليابان كما تتم معاملة المراسلين الصحفيين اليابانيين في الولايات المتحدة الأمريكية. ولا يقف المؤلف عند حدود الملاحظة ووصف الواقع القائم بل يحذر من التلويح بأية عمليات رد وذلك لأن هذا قد يسمح لليابانيين بأن يطرحوا أنفسهم كضحايا.

وما يعاني منه المراسلون الصحفيون الأجانب في اليابان ينطبق أيضاً حسب رأي المؤلف على المدرسين الأمريكيين العاملين في تلك البلاد، والذين يتم التعاقد معهم لزمن محدود لا يتجاوز الثلاث سنوات للعمل في الجامعات اليابانية الحكومية أو الخاصة، وكان المؤلف نفسه هو أحد هؤلاء الاساتذة حيث يركز على القول بأن الأجانب في سلك التدريس يعانون من التهميش بل انه يتحدث عن تمييز عنصري أكاديمي، ويشرح هذا الواقع بخشية السلطات اليابانية من أن يتسلل عدد من المدرسين الكوريين المولودين في اليابان وإنما الذين غيروا أسماءهم كي يخفوا أصولهم.

وهناك فصل في الكتاب يخص أوضاع الطلبة الأمريكيين في اليابان ونظرائهم اليابانيين في أمريكا حيث كان يوجد في عام 1993، حسب الاحصائيات الرسمية، 1192 طالبا أمريكيا في اليابان مقابل 42840 طالبا يابانيا في أمريكا، أي ما يعادل نسبة طالب واحد إلى 36 طالبا.

الفصل الأخير من الكتاب يكرس لتحليل ما أسماه المؤلف بـ «الحوار المدبر» الذي يرمي إلى «اخضاع» أو «اسكات» رجال الأعمال الأمريكيين أو سواهم من المواطنين الأمريكيين الذين تتم دعوتهم لزيارة اليابان بعقد المشاركة في هذا النشاط أو ذاك، وإنما الذين تفاجئهم اشياء كثيرة هناك، ولكن تتم مطالبتهم بعدم اظهار أي استياء حفظاً للمصالح.

وبالمقابل يعتبر المؤلف بأن أحكامه القاسية التي صرح عنها في هذا الكتاب هي وليدة تجربة طويلة عاشها في اليابان.

وهي آراء وجد انها تتوافق مع ما أسر به من عاشوا تجارب مماثلة.

الكتاب: كارتل العقل
السوق الفكري الياباني المغلق
تأليف: ايفان ـ ب. هال
الناشر: نورتون وشركاه ـ لندن، نيويورك 1998
الصفحات: 208 صفحات من القطع الوسط

من جبران خليل جبران الى ايليا ابوماضي.

الكاتب المستعرب الشاب خايمي سانشيث راتيا لم يحاول في ترجمته ان يعتدي على حرمة القصائد التي ترجمها كما يفعل البعض بالانطلاق من معنى القصيدة لكتابة قصيدة اسبانية معادلة لها، ولم يسقط في حرفية الترجمة كما يفعل البعض ايضا، من خلال الترجمة الحرفية التي تفقد القصيدة العربية جمالياتها، ولكنه اتخذ طريقا وسطا، حاول من خلاله ان ينقل القصيدة العربية روحاً ونصاً مع جمالياتها، مع كتابتها في لغة اسبانية شاعرية تقربها من قلب القارىء العادي الراغب في الاستمتاع بقراءة قصائد عربية تعتبر من عيون الادب العربي قديمه وحديثه، مع وضع هوامش تحاول ايضاح ما يستغرب على القارىء من معاني وصور معروفة في الأدب العربي لا يجد لها مقابلاً في اللغة الاسبانية.

الهوامش التي وضعها خايمي سانشيث راتيا كثيرة تذيل الترجمة وتكشف عن مدى الجهد الذي بذله في كتابه، ولم يحاول أن ينسب كل الجهد المبذول في الترجمة والهوامش الى نفسه، لأنه أشار في أكثر من موضع الى المساعدة التي لقيها من عدد الأصدقاء العرب، الذين كان يلجأ إليهم عندما تستعصي عليه بعض المعاني، ومن بينهم صاحب هذا العرض.

هذا الكتاب «ثلاثون قصيدة عربية في سياقها» يعتبر بداية لنوعية جديدة من الكتب التي تحاول ان تكسر طوق الاستعراب الاسباني الأكاديمي والرسمي، وتتعامل مع القارىء العادي، مما يفتح أمام الأدب العربي آفاقا جديدة، ويجعل الترجمات من اللغة العربية تجد مكانها على أرفف المكتبات وتعرض في معارض الكتب.

الكتاب: ثلاثون قصيدة عربية
تأليف: خايمي سانشيث راتيا
الناشر: هيبريون ـ مدريد 1998
الصفحات: 243ص، من القطع الصغير